

أضواء البيان

@ 254 @ 1 \$ (سورة الحج) 1 \$! 7 7 ! قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ

اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَدِيدٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ }

. أمر جل وعلا في أول هذه السورة الكريمة : الناس بتقواه جل وعلا ، بامثال أمره ، واجتناب نهيه ، وبين لهم أن زلزلة الساعة شيء عظيم ، تذهل بسببه المراضع عن أولادها ، وتضع بسببه الحوامل أحمالها ، من شدة الهول والفرع ، وأن الناس يرون فيه كأنهم سكارى من شدة الخوف ، وما هم بسكارى من شرب الخمر ، ولكن عذابه شديد . .

وما ذكره تعالى هنا من الأمر بالتقوى ، وذكره في مواضع كثيرة جداً من كتابه ، كقوله في أول سورة النساء { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ } إلى قوله { وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَنْرُحَامَ } والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً . .

وما بينه هنا من شدة أهوال الساعة ، وعظم زلزلتها ، بينه في غير هذا الموضع كقوله تعالى { إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا } وقوله تعالى { وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً } وقوله تعالى { إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا } وقوله تعالى { يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِفَةُ * تَتَدَبَعُهَا الرِّادِفَةُ * قَلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ } وقوله تعالى { ثَقُلَتِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآتٌ تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً } إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عظم هول الساعة . .

وقوله في هذه الآية الكريمة { اتَّقُوا رَبَّكُمُ } قد أوضحنا فيما مضى معنى التقوى بشواهد العربية ، فأغنى ذلك عن إعادته هنا . والزلزلة : شدة التحريك والإزعاج ، ومضاعفة زليل الشيء عن مقره ومركزه : أي تكرير انحرافه وتزحزحه عن موضعه ، لأن